المجلة العربية، جامعة داكا
المجلد ٢٤، العدد ٢٧، يونيو ٢٠٢٣م، ص.٢٠٣– ٢٢٠
DOI: https://doi.org/10.62295/mazallah.v24i27.43

Received: 15-08-2023
Accepted: 30-04-2024
Published: June 2024

أسلوب استخدام الألفاظ النادرة في المقامات

هلال الدين *

The custom of using rare words in Maqama

Abstract

The use of Maqama to enhance the beauty of Arabic language has long been recognized and it might be called a delightful practice. The readers seek to read this literature with utmost enthusiasm; they, in the subconscious state of their mind, put the words, phrases, idioms, lexicon, and syntax as well of Arabic language into practice. That is why, like the literature of Arab Countries, this literary genre has necessarily been incorporated in the syllabi of the Madaris and Universities. In this regard, there is a dearth of pleasurable and pragmatic methods of remembering rare Arabic words. For this, I have tried to portray every enterprise to focus on how the learners of a language may develop a faculty of Arabic words while reading this literature. The article has been systematized into four domains in which the origin, development, importance, method of putting rare Arabic words into practice, statistics and the list of rare and conventional Arabic words have consistently been presented. Descriptive and statistical methods have been applied to perform the research. The article may prove that the study of `Maqama` may be a pleasurable way of practicing rare Arabic words. This research may be an extensive attempt about the means of teaching and learning rare Arabic words through the method of `Maqama`study.

***Keywords**:* أسلوب، الألفاظ النادرة، المقامات

مقدمة

تعد المقامة من أبرز الفنون النثرية المبتكرة في العصر العباسي (المعروف بالعصر الذهبي) في القرن الرابع الهجري، وزادت أهميتها لغاية التعليم وتلقين الناشئة صيغ التعبير وتمارين ألفاظ نادرة اللغة العربية ولمناقشتها. هذا الفن قد أظهر ألوان البديع وكيفية الدلالة. يلعب فن المقامة بطريقة القصة

* أستاذ مساعد، مدرسة إسلامبور الإسلامية الكامل (ماجستير)، إسلامبور، جمالبور، وباحث دكتوراه بجامعة داكا، بنغلاديش، hn2113792@gmail.com

دورا هاما على تعليمات الدارسين وتدريباتهم. يزين فن المقامة بالتواريخ والتقاليد والثقافات والحضارات بألفاظ نادرة. فيكشف بابا جديدا لذوق الأدب العربي لأن له تأثيرات مهمة على المجتمع. وكانت المقامة أحب فنا لدى العقلاء والأدباء المعاصرة. وتعجب المقامة الدارسين لسجعها ولقوافيها بأقوال بليغة وفصيحة. وبجانب أخرى تدور المقامة حول عواطف الناس وشعورهم. وزين كتّاب المقامات هذا الفن بالنظم مع السجع والقوافي. وصوروا تصاوير حالات مجتمعات المسلمين في مقاماتهم. وللمقامة أهداف، من أبرزها إلقاء الضوء على فن الشعر والشعراء، وعلى توضيح تصريف الألفاظ مع تحليلها وتنمية المكانة الأدبية والملكة اللغوية. أما سبب اختيار الباحث لهذا الموضوع، فيتمثل بأنه لا توجد دراسة مستقلة متخصصة حول "أسلوب استخدام الألفاظ النادرة في المقامات" على الرغم من كثرة الدراسات حول المقامات بوجه عام. لأن المقصود لتصنيف المقامة تلقين الناشئة أصول اللغة وغريبها عن طريق هذه الأحاديث الحوشية والجمل المليئة بالغريب والعجيب.

المقامة

للمقامة عدة معان في اللغة، منها المجلس أو الجماعة من الناس. حيث يقول شوقي ضيف:

> "المقامة في اللغة "بالفتح" المجلس والجماعة من الناس أو الخطبة أو العظة أو الرواية التي تلقى في جماعة من الناس؛ جمعها مقامات." (ضيف، ١٩٦٠م:٢٤٧)

ويقول ابن منظور: "المجلس والجماعة من الناس." (ابن منظور، د.ت:ق و م)

ونجد في صبح الأعشى:

> "وسميت الأحدوثة من الكلام مقامة، لأنها تذكر في مجلس واحد يجتمع فيه الجماعة من الناس لسماعها."

وأما المقامة في الاصطلاح فأقول:

المقامة هي أدب نثري مسجع مقفع تدور أحداثها في مكان وزمان ما، براو وبطل، مجموعات ألفاظ نادرة ومواعظ حسنة ونصائح مفيدة. حيث يقول شوقي ضيف:

> "المقامة هي الحكايات القصيرة المتضمنة أجناسا نثرية وشعرية، تجري أحداثها في مكان وزمان ما، ويرويها راو يقص ويحكي ما يقوم بها بطلها من مغامرات وحيل، ويتأنق الكاتب في ألفاظها وأساليبها ومعانيها." (الهمذاني،٢٠٠٥، ٤-٥؛ مبارك، د.ت:١٩٩؛ ضيف، ١٩٥٤، ٨)

فالمقامة هي عبارة عن قصة قصيرة مكتوبة بأسلوب أدبي طريف ومسجوع. فسجع كتّاب المقامات كتاباتهم بألفاظ غريبة مع البديع، كما يقول سلام:

"المقامة هي حكاية في ثوب منمق من اللفظ يتلاعب فيها بمقدرته التعبيرية، ويرصعها بضروب من البديع."(سلام، ١٩٩٩: ٢/٩٩)

ويهتم كتّاب المقامات بمضامين كتاباتهم ومواضعها. أحيانا هم يهتمون بالتزيين الشكلي قبل الاهتمام بالمضمون والموضوع. الدكتور فكتور الكك أشار إليها ويقول:

"المقامة حديث من شطحات الخيال أو دوامة الواقع اليومي في أسلوب مصنوع تدور حول بطل أفاق أديب شحاذ يحدث عنه ينشر طويته رواية حوله قد يلبس جبة البطل أحيانا." (الزعيم، ١٤١٢ق: ٤٣٤–٤٣٥)

بعض كتّاب المقامات يهتمون على القصص والتعليمات المختلفة في تعريف المقامة، كما يقول الدكتور غنيمي هلال:

"المقامة هي نوع من القصة القصيرة، أدبي وبليغ ومسجوع يجري على لسان رجل خيالي ماكر يحتال الناس للحصول على المال. وفي الغالب تنتهي بعبرة أو عظة أو نكتة دينية أو أخلاقية." (هلال، ١٩٦٢م: ٢)

نشأة المقامة وتطورها

في نشأة المقامة وجدنا رأيان:

١. كانت نشأت المقامة على يد ابن دريد (٨٣٧–٩٣٣م). ويقول زاكي مبارك (١٨٩٢–١٩٥٢):

"وفي الأصل، أن الهمذاني لم ينشأ المقامة في الأدب العربي أولا."

وأشار إلى ابن دريد لنشأة المقامة (زكي مبارك، المقتطف:٧٦، ٤١٨–٤٢١، و ٤٥٦–٤٦٤). فالحصري يشير إلى أن ابن دريد أنشأ أربعين حديثا من فكره، فتأثر به الهمذاني الذي نسج على منوال هذه الأحاديث أربع مائة مقامة (الحصري، زهر الآداب). وهو فاتح الطريق لهذا الفن كفن أدبي.

٢. كانت نشأت المقامة على يد بديع الزمان الهمذاني، فقد أورد الحريري:

"أن البديع هو أول من أنشأ المقامات، والفضل يعود إليه فهو تابع له." (الحريري، ١١: ١٧٨)

هذا هو رأي اتفق عليه الجمهور على أنه مبدع هذا الفن وصاحبها الحقيقي (أبو حاقة، ٢٠٠٦م، ج١: ١٨١؛ رشدي حسن، ١٩٧٤م: ١٣-١٤). وأثبت ألفريد بوستن: أن المقامة نشأت على يد بديع الزمان الهمذاني لدلالة عليها خصائص المقامة (ألفريد بوستن، ١٩٧١ :١- ١٢).

ولم يرفض مصطفى الشكعة هذين الرأيين، لما لم يقبلهما كليا معللا، ذلك بأن الدافع والهدف عند كل من ابن دريد والهمذاني مختلف إلى حد كبير، فالأول كان هدف أحاديث ابن دريد تعليمة؛ لأنها مملوءة بالألفاظ الغريبة والحوشية، أما الثاني كان هدف مقامات الهمذاني الترويح عن النفس، وإضحاك الناس (مصطفى الشكعة،٢٩٦). ويأخذ سعد بوفلاقة رأي المأمون المذكور متأثرا بمارون عبود.

إن نشأة المقامة وتطورها كانت بين قرني الثاني عشر والثالث عشر في أسبانيا (ميشل: ١٢٢). ونرى رأيا آخر عن منشئها، أن المقامة نشأت حين قرن الحادي عشر (حسام: ١). وفي الحقيقة، برز فن المقامة في القرن الرابع الهجري أو في القرن العاشر الميلادي في ظل الخلاف والاختلاف. هذه الحركة الأدبية من خلال مقاماته وحاول في تصوير مشاكل حياة الناس بأسرها في المجتمع العباسي. وعلى الرغم من الخلاف في مبتكرها يعتبر بديع الزمان الهمذاني مخترع فن المقامة ورائدها، بل كانت مقاماته حاصلة عبقريته الفذة، ولقد التصق اسم المقامات ببديع الزمان الهمذاني في أذهان الناس، وقد احتذى حذوه العديد من الأدباء وقلدوه أسلوبا ونظما وموضوعا.

حازت المقامات العربية شهرة واسعة، وانتشرت من المشرق إلى المغرب، وفي البلاد الأروبية، منذ نشأتها حتى القرن العشرين. وأقبل الطلاب في المدارس والجامعات على حفظها لحصول المهارة والملكة على اللغة. ويجدر بالذكر إلى أن المقامات الحريرية، أثارت إعجاب الأدباء والعلماء والرسامين؛ وأقبل على شرحها أكثر من خمسة وثلاثين شارحا. كما عنى بها المؤلفون الكبار كابن الخشاب وابن برى الذين كتبا رسالتين في نقد مقامات الحريري. فإقبال الشرّاح، والنقّاد، والرسامين والمترجمين على مقامات الحريري خاصة، يدلنا على أهمية المقامات على ممارسة الألفاظ النادرة (محمد رسول، أسباب انتشار المقامة: ٣/٣٣). واتسع فن المقامة في العصر العباسي وعبر اتساعه بأساليب متنوعة، وأغراض مختلفة، نحو النصح المفيد والموعظة الحسنة، أو إبراز مقدرة فنية، أو لتسلية الناس والدارسين. وربما كان الأدباء يقصدون بهذه المقامات السرد، كما نلاحظ ذلك في أحاديث ابن دريد. فانتشر فن المقامة من مشرق العالم الإسلامي إلى مغربه، وكثر المقلّدون لهذا الفن من الأدب. وقد عرف الأندلسيون فن المقامة، وأطلعوا عليه، ثم رحلوا إلى بغداد وأقاموا فيها وعادوا

إلى بلدهم ونشروا هذه المقامات. فلقيت قبولا من جانب الأدباء والكتّاب شرقا وغربا، ونالت حظها من التقليد والمعارضة، والشرح، والنقد، والتعليق، والتدريس في المدارس، ونسجت على منوالها مقامات مشهورة (محمد رسول، أسباب انتشار المقامة: ٤/٣٤). ونجد فن المقامة في مناهج مدارس بلادنا وجامعاتها مثل الهند والباكستان حتى الآن. كما لقيت قبولا من جانب المدارس والجامعات في البلاد العربية. ونجد كتبا عن المقامة في أنحاء بلادنا أيضا.

عناصر المقامة الأدبية

العناصر جمع عنصر ويعنى بها الأساس، الأصل والعماد، ومن المعلوم أن لكل موضوع عنصر، لأن الموضوع يبتنى به ويتخصص من غيره. ففي المقامة ثلاثة عناصر. منها –

١– الراوي: ينقلها عن مجلس تحدث فيه.

٢– مكدي (البطل): تدور القصة حوله وتنتهي بانتصاره في كل مرة.

٣– العقدة (نكتة): تحاك حولها المقامة وقد تكون هذه العقدة بعيدة عن الأخلاق الكريمة وأحيانا تكون سمحة.

أصحاب المقامة

يوجد المقامة في الأدب العربية كثيرة، حيث ساهم الأدباء والعلماء على هذا الفن لممارسة ألفاظ اللغة العربية. ذكر أحمد حسن الزيات أسماء عديدة لأصحاب المقامة (الزيات، ١٤١٧ق: ٢٣٩). منها؛

١. ابن دريد (٨٣٧–٩٣٣م) له أربعون مقامة.
٢. بديع الزمان الهمذاني (٣٥٨–٣٩٨هـ/٩٦٩–١٠٠٧م) له أربع مائة مقامة. و هذه المقامات تعد أهم و أقدم المقامات العربية و أبرزها.
٣. ابن الأشتركوني السرقسطي (ت ٥٣٨هـ) له خمسون مقامة.
٤. ابن نباتة السعد (٣٢٧–٤٠٥هـ/٩٤١–١٠١٤م).
٥. ابن ناقيا (٤١٠–٤٨٥هـ/١٠٢٠–١٠٩٢م).
٦. أبو حامد الغزالي (٤٥٠–٥٠٥ هـ/١٠٥٨–١١١١م).
٧. أبو القاسم الحرير (٤٤٦–٥١٦ هـ/١٠٥٤–١١٢٢م) له خمسون مقامة. و كذلك هذه المقامة تعد أهم و أقدم المقامات العربية و أبرزها.
٨. جار الله الزمخشري (٤٦٧–٥٣٨ هـ/١١٧٤–١١٤٣م).
٩. ابن صقيل الجزري (ت ٧٠١ هـ) له خمسون مقامة و هي المقامات الزينية.
١٠. الرازي (ت ٧٣٠ هـ).

١١. السيوطي (٨٤٩–٩١١ هـ/١٤٤٥–١٥٠٥م).
١٢. أبو الثناء الآلوسي (١٢١٧–١٢٧٠هـ/١٨٠٢–١٨٥٤م).
١٣. ناصف اليازجي (١٨٠٠–١٨٧١م).
١٤. محمد الويلحي (١٨٥٨–١٩٣٠م).
١٥. ابو العباس يحيى بن سعيد بن باري النصراني البطري الطيب (ب ت) له المقامات المسيحية.
١٦. أحمد بن الأعظم (ب ت).

أسلوب استخدام الألفاظ النادرة في المقامات

أسلوب لفظ واحد جمعه أساليب، المعاني: طريق، مذهب، نمط، شكل، نظام. أسلوب القول فنونه المتنوعة. أريد بأسلوب في هذه الرسالة طريقة لممارسة الألفاظ اللغة. و أبين فيها الأساليب المختلفة المستعملة في المقامات. و أخذت من تلك الأساليب أسلوب الذي يستعمل لممارسة الألفاظ النادرة اللغة العربية بقراءة المقامات.

مساهمة المقامة كثيرة في إظهار البراعة اللغوية، إلى استعراض عضلاته البيانية حتى في التعقيدات اللفظية واللغوية. فإن المقامة اقتبسوا أساليب القرآن لمقاماتهم؛ وكذلك استخدموا ألفاظ القرآن والحديث والقصيدة العربية فيها. وحاولوا لجذب أنظار الناس إلى مقاماتهم؛ ويقدّمونها أمام الناس كالمسرحية مع بيان حوائج الأصلية لحياة الإنسانية؛ مثل اللبث والطعام والنقد. ويظهرون أحزان الناس وآلامهم لأغراض محددة ولأهداف معينة. ويحاولون بها لزيادة قيمة مقاماتهم عند الدارسين والسامعين حتى يحصلون أهدافهم المعينة. وفي هذه الرسالة نبحث الأسلوب القصة من الأساليب المستخدمة في المقامات لممارسة الألفاظ النادرة إن شاء الله.

أساليب المستخدمة في المقامات				
أسلوب القرآن	أسلوب الحديث	أسلوب البيان	أسلوب النظم	أسلوب المسرحية
أسلوب القصة	أسلوب الموعظة	أسلوب الحوار	أسلوب التكرار	أسلوب الحكم
أسلوب البديع	أسلوب العروض	أسلوب السهل	أسلوب السجع	أسلوب التعقيد
أسلوب الزخروف	أسلوب الجناس	أسلوب الطباق	أسلوب التشبه	أسلوب السرور
أسلوب الموازنة	أسلوب الاقتباس	أسلوب التورية	أسلوب المقابلة	أسلوب الترادف

اقتبس الأدباء هذه الأساليب المتنوعة في كتاباتهم لتعليم الدارسين والمناقشين. هم يسعون أن المقامة تكون مدللا ومجامعا. فرعي فيها بساطة الموضوع، وأناقة الأسلوب، وزودها بكل ما يجعل منها :

أ. وسيلة للتمرن على الإنشاء والوقوف على مذاهب النثر والنظم.

ب. رصيد لثروة معجمية هائلة.

ج. مستودع للحكم والتجارب عن طريق الفكاهة.

د. وثيقة تاريخية تصور جزءا من حياة عصره وإجلال رجال زمانه.

إن اللغة العربية لغة القرآن، هي أكمل اللغات في العالم، تتضمن كلمات مضادة في المعاني ومترادفات شتى مع كلمات مسجعة. نجد جملا في المقامات مقتبسة من القرآن. مثلا؛ *" فقلت: إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ"* (البقرة: ١٥٦) وردت في المقامة البغدادية. و*"فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ."* (أنعام: ٤٥) وردت في المقامة الخمرية. و*"وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى"* (طه: ٢٢) وردت في المقامة الساسانية. و:*"مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ"* (غافر: ٣٣)، وردت في المقامة المارستانية. و*"وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ"* (نحل:١٩) و*"إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى"* (الأعلى:٧) وردت في المقامة الأهوازية.

أحيانا اقتبسوا مواعظ ووقائع من القرآن. مثلا، يقول الهمذاني في المقامة المضيرية: *"وأنا ببغداد ولزمني ملازمة الغريم، والكلب لأصحاب الرقيم"*، كما وردت قصة أصحاب الكهف وكلبهم في القرآن الكريم. استعملوا في مقاماتهم نصائح شتى، حيث قال الحريري :

*سامح أخاك إذا خلط * منه الإصابة بالغلط*

ونجد ألفاظا من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن التراث الشعري في فن المقامة. كما كتب اليازجي في مقامته:

"يا هذا إنك قد أثمت بحبسك هذه الحرة! أما سمعت أن امرأة دخلت النار في هرة؟ فخذ هذه الخمس المئين، ودع الفتاة عندي في قرار مكين...." (مجمع البحرين لليازجي، مقامات اليازجي، المقامة السادسة عشرة وتعرف بالصورية).

هذه القطعة (أن امرأة دخلت النار في هرة) انتخبت من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التالي.

"دخَلَت امرَأَةٌ النَّارَ في هِرَّةٍ، ربَطَتْها، فلَمْ تُطْعِمْها، ولَـمْ تَسْقِها، ولَـمْ تُرْسِلْها فتَأْكُلَ مِن خَشَاشِ الأَرْضِ." (البخاري: ٣١٤٠)

القرآن وأحاديث رسول الله مصدران رئيسان لفن المقامة، ومن أمثلة الحجة بالقرآن والسنة النبوية كذلك، لقد استطاعت المقامات أن تلج بنا مجتمع الناس وجعلتنا نعايشهم معايشة حقيقة حيثما كانوا، وجعلتنا معايشة نشاهدهم في دورهم وأنديتهم، ودخلت بنا إلى عوالمهم في الأسواق والفنادق والحوانيت والمساجد، ونقلتنا إلى قصور الحكّام وساحات القضاء وأندية الأدباء وحلقات الوعظ، وتفاوتت شخوصها بين ملوك وولاة وأدباء وقضاة ووعاظ، وتخطت هؤلاء جميعا إلى اللصوص والشحاذين والنخاسين (أمينة الشريف، التشكيل المكاني في المقامات:٢/٩٨). هكذا شجع كتّاب المقامات الناس في كتابتهم على النجاح والفلاح.

إن كتّاب المقامات يقتبسون في كتاباتهم ألفاظا نادرة بطريقة ملونة، أعجب الناس لاستخدامهم الألفاظ (إما كانت نادرة أو وافرة، حقيقة أو مجازة، صريحة أو كناية) والقواعد (إما كانت صرفية أو نحوية) والتراكيب (إما كانت بلاغية أو فصاحية) والأساليب (إما كانت من القرآن أو الحديث) مع البديع والمعاني. يقرر الكتّاب موضوعات وغايات المقامات لتعليمات الناس وتدريباتهم، ويزيد تلذذها عناصر مختلفة، منها السجع والقافية والبطل والراوية والجناس والتكرار. لأن الناس يميلون إلى هذه العناصر طبعا. وكان بديع الزمان الهمذاني يمعن في استخدام السجع كل الإمعان، ويفرط فيه كل الإفراط باعتبار أنه أبرز عناصر المقامة التي تختص بها، فيكثر في مقاماته من السجع القصير، وسجعاته تتألف من ألفاظ وكلمات، كأنما تقصد ذلك لتحفظ عنه لا لتعبر عن معنى، ويختار لسجعه من الحروف ما له إيقاع على أذني السامعين وما يساعده على تذكره، ومثل هذه البنيات تحقق غالبا ما هو عملي. وإذا ما نظرنا في المقامات نجد السجع يأتي في الغالب طبعا دون تكلّف، فهو معتدل ومألوف، مثل قول الهمذاني في المقامة الأسدية:

> "اتفقت لي حاجة بحمص، فشحذت إليها الحرص، في صحبة أفراد كنجوم الليل، أحلاس لظهور الخيل، وأخذنا الطريق ننتهب مسافته، ونستأصل شافته....." (عبد العزيز السعود، الشفاهية و الكتابية في مقامات: ٤٩٩-٥٠٠/١٠-١١)

يمارس طلاب اللغة العربية القواعد النحوية والصرفية بقراءة المقامات مع الفرحة والسرور. ويدرس الطلاب كيف جعل الكاتب فاعله مفعولا، وعاقله معقولا (الهمذاني، ٢٠٠٥: ٢٥٤). و بيت الحطيئة في الزبرقان بن بدر يمثل هذا المعيار، إذ يقول:

"دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي." (الحطيئة، ١٩٩٣: ١١٩)

وكيف بدل دلالة اسم الفاعل (الطاعم، الكاسي)، وجعلها كاسم المفعول لغاية الهجاء، وبهذا يكون المهجو مطعوما مكسوا، إذ ما تبلغ مروءته إلا أن يأكل ويلبس، وربما أن هذا البيت الذي ظاهره مدح وباطنه ذم، هو ما قصده الهمذاني في إحدى أوصافه للمعميات، إذ يقول: "بيت مدحه ذم." (الهمذاني، ٢٠٠٥: ٢٥٤)

يقدم كتّاب المقامات أمام الطلاب والدارسين معجما من الألفاظ النادرة والتراكيب الغريبة والأساليب البليغة؛ فلهذا أصبحت المقامات متنا لغويا وانتشرت في كل مكان. وبقراءة المقامات زادت مهارات اللغوية وقدراتهم. نستفيد بها وببيانها الفصيحة. لأنها خزائن مشحونة بالتعابير اللغوية العربية العويصة التي كانت تتعلق بها. كما تكثر الألغاز اللغوية، وألوان البديع المختلفة، الأساليب النثرية المزوقة. كما أن كتّاب المقامات القدماء والمحدثين ألفوا مقامات، لإظهار قدراتهم الفنية واللغوية ولإظهار التصريفات الألفاظ العربية (محمد رسول، أسباب انتشار المقامة: ١٠/٤٠).

يستخدم كتّاب المقامات الشعر والقصص والخداع في مقاماتهم لحصول الفرحة ولإعطاء الناس السرور. استلذ الناس ويأخذون ألفاظ العربية بالفرحة حين يقرؤون المقامات. يمارس الطلاب ألفاظا غريبة ونادرة بدون تعب وومل مع الفراحة والسرور بالمقامات. والناس يقرؤون المقامات ويستلذون بها بدون شعور ممارسة الألفاظ. فلهذا كانت هذه الممارسة مثمرة ومثبتة. لقد عكف بعض الأدباء على كتابة المقامات، وقصدوا من ذلك تعليم الناشئين، تدريسها في المدارس.

"وإلى اليوم لا تزال تدرس المقامات في جميع المدارس الإسلامية في آسيا وخاصة في الهند." (Renan,Ernest,1859:298)

وفي الواقع كان عكوف الأدباء على شرح المقامات، وتعليمها في بلاد المشرق والمغرب. يدل على عظم تداول المقامات، وانتشارها بغرض التعليم أو المذاكرة (محمد رسول، أسباب انتشار المقامة: ١١/٤١). وتنتخب باكستان، هند وبنغلاديش المقامات لمناهجها التعليمة لممارسة ألفاظ نادرة اللغة العربية.

كذا يقتبس الكتّاب في مقاماتهم الحكم والمواعظ لتعليمات المعلمين، والمتعلمين، والمتدربين والدارسين. والطلاب يقرؤون المقامات ويدرسون الحكم والمواعظ بدون شعور الممارسة. إذن يستتر السروجي خلف قناع الواعظ الزاهد في هذا المكان المهيب حيث يتحلق الناس من حوله ليسمعوا من عظته ويستلهمون من عباراته، فنجده واعظا حين يقول:

"أيها السادر في غلوائه، السادل ثوب خيلائه، الجامع في جهالاته/ ...../ إلام تستمر على غيك وتستمرئ مرعى بغيك، وحتام تتناهى في زهوك ولا تنتهي عن لهوك، تبارز بمعصيتك مالك ناصيتك، وتجترئ بقبح سيرتك على عالم سريرتك." (ناصر، عبد الرزاق،١٩٩٥: ١٨–١٩)

وناصحا حين يقول:

"هلا انتهجت محجة اهتدائك، وعجلت معالجة دائك، وفللت سباة اعتدائك، وقدعت نفسك فهي أكبر أعدائك." (ناصر، عبد الرزاق،١٩٩٥: ١٩)

وتارة نجده معاتبا عباد الدنيا والمال قائلا:

"تؤثر فلسا توعيه على ذكر تعيه، وتختار قصرا تعليه على بر توليه، وترغب عن هاد تستهديه إلى زاد تستهديه، وتغلب حب ثوب بشتهيه على ثواب تشتريه، يواقيت الصلات أغلق بقلبك من مواقيت الصلاة، ومغالاة الصدقات، آثر عندك من موالاة الصدقات." (ناصر، عبد الرزاق،١٩٩٥: ٢٠)

وآخر مقال خطبته الواعظة يظهر زاهدا فينشد:

"تبا لطالب دنيا * ثنى إليها انصبابه." (ناصر، عبد الرزاق،١٩٩٥: ٢١)

ففي هذا الموقف يبتدى أبو زيد السروجي منتحلا سمت الخطاب الديني المقدس خطاب الوعظ والإرشاد والتذكرة في فضاء مقدس، استمد قداسته من مهابة الموقف وقداسة الكلم (حلقة الوعظ)، حيث راح يعالج قلوب الباكين ويذكرهم بالموت واليوم الآخر، كما حثهم على ضرورة التخلي والابتعاد عن شهوات الدنيا وملذاتها، فهي التي قست القلوب وأغفلت العقول حتى صار المال والحطام أحب إليهم من الصلاة والعبادة،و يقول:

"يواقيت الصلات، أغلق بقلبك من مواقيت الصلاة، ومغالاة الصدقات، آثر عندك من موالاة الصدقات وصحاف الألوان أشهى إليك من صحائف الأديان." (رزيقة، البطل الإشكالي: ٤)

أحيانا جاء كتّاب المقامة بأشياء ووقائع ملونة بالكذب والخداع، والناس يتلذذون تلك الكذب والخداع المستترة ويعجبون بها، كما يقول حنا الفخوري في تعريف المقامة، أنها:

"شبهت قصة قصيرة، تدور حول بطل وهمي يروي أخباره رواية وهمية أيضا. وبطلها رجل أحكام التحيل وقصر همه على تحصيل الطفيف من الرزق، فكان أخباره كلها تدور حول الكدية والخداع والاحتيال والتموية." (الفاخوري، ٢٠١٢: ٦٩٦)

وهم يزينون الوقائع بالكذب والخداع في مقاماتهم لجذب قلوب الناس وهمومهم إليها. فجذبت المقامة الناس إليها، والناس ذاقوا وفرحوا بها، هكذا هم يقرؤون المقامات ويمارسون ألفاظا مع الفرحة والسرور. ندري بهذه الإحصائية التالية كمية ألفاظ النادرة المستخدمة في المقامات.

نموذج من مقامات الحريري				
اسم المقامة	الألفاظ النادرة (٪)	الألفاظ الوافرة (٪)	ألفاظ القرآن (٪)	ألفاظ الحديث (٪)
المقامة الصنعانية	٪٢٤,٠٣	٪٩,٣٩	٪١٣,٥٤	٪١,٣٨
المقامة الحلوانية	٪٢٥,٤٣	٪٤,٦٣	٪٨,١٠	٪١,٨٥
المقامة الدينارية	٪٢٦,٧٨	٪٩,٨٣	٪٦,٨٨	٪٠,٤٩
نموذج من مقامات الهمذاني				
اسم المقامة	الألفاظ النادرة (٪)	الألفاظ الوافرة (٪)	ألفاظ القرآن (٪)	ألفاظ الحديث (٪)
المقامة القريضية	٪٢٢,٠٦	٪١٤,٠٤	٪٢٦,٠٧	٪١,٤٣
المقامة الأزادية	٪٢٠,٥٠	٪٩,٩٤	٪١٦,٧٧	٪٠,٠
المقامة البلخية	٪٢٣,٧٦	٪١٢,٣٨	٪١٨,٨١	٪٠,٠
نموذج من مقامات الزمخشري				
اسم المقامة	الألفاظ النادرة (٪)	الألفاظ الوافرة (٪)	ألفاظ القرآن (٪)	ألفاظ الحديث (٪)
المقامة المراشد	٪٣٥,١٤	٪١,٨٠	٪١٨,٩٢	٪١,٨٠
المقامة التقوى	٪٣١,٢٥	٪٤,٦٩	٪١١,٧٦	٪١,٥٦
المقامة الرضوان	٪٢٤,٥١	٪٠,٩٨	٪١٢,٧٥	٪٠,٠

وأيضا ندري بهذه الإحصائية التالية الألفاظ النادرة المستخدمة في المقامات.

الموازنة بين الألفاظ النادرة و الوافرة المستخدمة في المقامات.

نموذج من مقامات الحريري								
المقامة الصنعانية								
رقم	الألفاظ النادرة	الألفاظ الوافرة	رقم	الألفاظ النادرة	الألفاظ الوافرة	رقم	الألفاظ النادرة	الألفاظ الوافرة
١	غارب	كتف	٢	اغتراب	سفر	٣	أنأتني	أبعدني
٤	متربة	فقر	٥	طرحتني	رمتني	٦	طوائح	هلكات
٧	حاوى	خال	٨	باد	ظاهر	٩	اكفاض	فقر
١٠	بلغة	طعام	١١	طفقت	شرعت	١٢	أجوب	أقطع
١٣	هائم	شغل	١٤	أجول	أطوف	١٥	حائم	عطش
١٦	أرود	ألتمس/أفتش	١٧	مسائح	مجرى/مسيل	١٨	ديباجة	وجه/فم
١٩	تروي	أروى/رطب	٢٠	رحيب	وسيع	٢١	محتو	مشتمل
٢٢	نحيب	صوت	٢٣	ولجت	دخلت	٢٤	أسبر	أختبر
٢٥	مجلبة	ذهب بـ	٢٦	بهرة	وسط/جوف	٢٧	شخت	ضعيف
٢٨	السياحة	السفر	٢٩	النياحة	الطبخ	٣٠	خب	أسرع
٣١	خيلاء	الفخر/التكبر	٣٢	الجانح	المائل	٣٣	غي	ضل
٣٤	زهو	تكبر	٣٥	تبارز	تقابل	٣٦	انتهجت	مشيت
٣٧	شباة	قوة	٣٨	قدعت	دفعت	٣٩	حمام	موت
٤٠	أعذار	أجواب	٤١	العبر	العلم/التعليم	٤٢	تعي	تذكر
٤٣	تولى	تقرب	٤٤	العرف	الحسنة	٤٥	النكر	التكبر
٤٦	تتحامي	تدافع	٤٧	غرام	عذاب	٤٨	لبد	اتصل
٤٩	عجاجة	غبار	٥٠	مزايلة	مفارقة	٥١	أنساب	أسرع

المقامة الحلوانية							
رقم	الألفاظ النادرة	الألفاظ الوافرة	رقم	الألفاظ النادرة	الألفاظ الوافرة	رقم	الألفاظ النادرة	الألفاظ الوافرة
١	كلف	عشق	٢	ميطت	بعدت	٣	نيطت	علقت
٤	أغشى	أتى/دخل	٥	أنضي	أخرج	٦	أوام	عطش
٧	الفرط	السبقة	٨	لهج	عشق	٩	اقتباس	اكتساب
١٠	الطمع	الحرص	١١	جل	كبر	١٢	اتعلل	اشتغل
١٣	حللت	نزلت	١٤	شين	عيب	١٥	يبرز	يظهر
١٦	طور	مرة	١٧	بيد	غير	١٨	مدارة	رعاية
١٩	دراية	عاقلة	٢٠	مطاوعة	موافقة	٢١	الخلابة	الخداع
٢٢	نافست	قابلت	٢٣	أجلو	أصنع	٢٤	محي	معيش
٢٥	أملاق	أفلاس	٢٦	أغرا	أرغب	٢٧	مفازة	صحراء/نجاة
٢٨	خفوق	حركة	٢٩	ظعن	علم	٣٠	راق	تعجب
٣١	لاح	ظهر	٣٢	ند	هرب	٣٣	حاز	جمع
٣٤	غرب	بعد	٣٥	الندر	الفوز	٣٦	الثعر	الوجه
٣٧	ناهي	كافي	٣٨	توجس	شمع/أحس	٣٩	هجس	قضى
٤٠	قطن	فهم	٤١	حاذر	اجتنب	٤٢	خبيئة	خفية
٤٣	آثرت	رجحت	٤٤	اختلاب	خداع	٤٥	زحزح	أزال
٤٦	سنا	لمع	٤٧	انصباب	ميل	٤٨	تألف	لمع
٤٩	سرحت	أرسلت	٥٠	الطرف	العين	٥١	لجيح	تعجل

المقامة الدينارية							
رقم	الألفاظ النادرة	الألفاظ الوافرة	رقم	الألفاظ النادرة	الألفاظ الوافرة	رقم	الألفاظ النادرة	الألفاظ الوافرة
١	أخدان	صاحب/صديق	٢	عناد	حسد	٣	نتجاذب	نتنازع
٤	عشائر	قبائل	٥	حدة	مال	٦	مقار	حوض
٧	خطوب	حالت	٨	كروب	غم	٩	شرر	فخر

١٠	انتاب	وقع	١١	نوب	مصائب	١٢	قرع	خلا
١٣	الساحة	الميدان	١٤	غار	جف/يبس	١٥	منبع	عين
١٦	نبا	اختلف	١٧	أقوى	خال	١٨	أعول	أضج/أبكى
١٩	عيال	ظلم	٢٠	ربط	عقد/قيد	٢١	أودى	أهلك
٢٢	آل	هلك	٢٣	مدقع	مترب	٢٤	جو	عشق
٢٥	الطوي	جوع	٢٦	الحين	الهلاكة	٢٧	المتاح	المقرر
٢٨	آس	طبيب	٢٩	عيلة	فقرة	٣٠	لويت	ماليت
٣١	حتم	لازم/يقين	٣٢	أنجز	أكمل	٣٣	شمر	صنع/بنى
٣٤	انثناء	رجوع	٣٥	اغترام	رفع	٣٦	نفحت	أعطيت

نموذج من مقامات الهمذاني

المقامة القريضية

رقم	الألفاظ النادرة	الألفاظ الوافرة	رقم	الألفاظ النادرة	الألفاظ الوافرة	رقم	الألفاظ النادرة	الألفاظ الوافرة
١	طرحتني	رمتني	٢	مطارح	مكانة	٣	وطئت	وصلت
٤	ضياع	ضيعة	٥	حانوت	موضع	٦	مثابة	مرجع
٧	رفقة	صديق	٨	حاشيتان	طرفتان	٩	القريض	الشعر
١٠	تلقاء	موازن/مقابل	١١	ذيل	ثوب قاص	١٢	أفضت	دفعت/أفصحت
١٣	جلوت	نورت	١٤	معرض	مجتمع	١٥	العصم	الحفظ/المانع
١٦	وكنة	مأو	١٧	تفتق	قطع/شق	١٨	انتجع	شاء/أراد
١٩	يثلب	يسب	٢٠	حنق	غضب	٢١	رهب	خاف
٢٢	صائب	عادل/صادق	٢٣	يذيب	يسيل	٢٤	أغزر	أكثر
٢٥	روم	قصد/إرادة	٢٦	أشجى	آلم/أوجع/أثار	٢٧	أردى	هلك
٢٨	أسنى	رفع	٢٩	أجزى	أكفي	٣٠	أزرى	احتقر/اذم
٣١	ممطي	راكب	٣٢	غمر	حقد	٣٣	غبن	خاصي
٣٤	سعر	ثمن	٣٥	أفرخ	أولاد	٣٦	تاح	سهل
٣٧	فراح	ذهب	٣٨	وافانا	قدمنا	٣٩	جلف	كوب

المقامة الأزادية							
رقم	الألفاظ النادرة	الألفاظ الوافرة	رقم	الألفاظ النادرة	الألفاظ الوافرة	رقم	الألفاظ النادرة	الألفاظ الوافرة
١	الإيزاد	التمر	٢	اعتام	اختيار	٣	ابتياع	اشتراء
٤	صنف	ميز/قسم	٥	قرض	قطع	٦	الأوزار	الأحمال
٧	لف	جمع	٨	احتضن	حمى	٩	خرديق	المرقة
١٠	فثأ	قلل/زال/برد	١١	سطوات	الصولة	١٢	ينقذ	يخلص
١٣	الترنيق	التكدير	١٤	عنان	إرادة	١٥	أبرز	برد/خرج/أخرج
١٦	لثام	وجه	١٧	شرة	خفة/نشط	١٨	داهية	الماكر
المقامة البلخية								
رقم	الألفاظ النادرة	الألفاظ الوافرة	رقم	الألفاظ النادرة	الألفاظ الوافرة	رقم	الألفاظ النادرة	الألفاظ الوافرة
١	البز	الثياب	٢	ثروة	مال	٣	استقيد	اطلب
٤	شرود	كلم	٥	مسافة	مدة	٦	حنى	أخضع
٧	زي	هيئة	٨	أخدعان	عرقان	٩	سناء	دان
١٠	ظعن	رجوع	١١	انطلاق	رجوع/ذهاب	١٢	الوطر	الحاجة/الأرب
١٣	ريط	ثوب رقيق	١٤	نجار	أصل	١٥	صفر	دنانير/ذهب
١٦	حط	قلل/زال/قصر	١٧	أطبق	استطيع/ احمل	١٨	ثكل	موت
	نموذج من مقامات الزمخشري							
المقامة المراشد								
رقم	الألفاظ النادرة	الألفاظ الوافرة	رقم	الألفاظ النادرة	الألفاظ الوافرة	رقم	الألفاظ النادرة	الألفاظ الوافرة
١	خصال	مرة	٢	قلبت	بدلت	٣	حسك	شوك
٤	السعدان	نبات	٥	وفول	الثوب الصافي	٦	الأتعس	الأعجز
٧	غبار	قذر	٨	ناغيها	لينها	٩	يثلم	يفسد
١٠	انتعش	رفع/تقدم	١١	انكمش	نقلص	١٢	غمار	آلم

المقامة التقوى								
رقم	الألفاظ النادرة	الألفاظ الوافرة	رقم	الألفاظ النادرة	الألفاظ الوافرة	رقم	الألفاظ النادرة	الألفاظ الوافرة
١	التواني	التهاون/تعب	٢	استزل	أنزل/زل	٣	الحجى	العقل
٤	أحزى	أنسب/أصلح	٥	أحجى	أقادر/أقابل	٦	تلوذ	تحمى/تأوى
٧	محجة	غاية	٨	ثيرة	حمل	٩	نقية	طهارة
١٠	تبلج	نير	١١	سطح	لمع	١٢	حسك	شعور
المقامة الرضوان								
رقم	الألفاظ النادرة	الألفاظ الوافرة	رقم	الألفاظ النادرة	الألفاظ الوافرة	رقم	الألفاظ النادرة	الألفاظ الوافرة
١	الإرقال	الإسراع	٢	الحرمان	الفقر	٣	تغذ	مسرع/سرعة
٤	شراد	هرب/ضلال	٥	إيثار	ترجيح	٦	الشقوة	آلم
٧	رونق	بريق	٨	رواء	شاهد/منظر	٩	المونق	المعظم

الحاصل

فن المقامة هو خزائن الألفاظ النادرة، إنه من فنون الأدب العربي الذي يعد وسيلة من وسائل لممارسة ألفاظ اللغة العربية. وبه يمارس الطلاب ألفاظا نادرة اللغة طبعا بدون شعور. فيها مقتبسة ألفاظ نادرة بطرق ملونة. تستعمل ألفاظ من القرآن والأحاديث. توجد أشعار العربية والحكم وأمثال العربية فيها. يقدم الكتّاب في هذا الفن مواعظ ونصائح لإصلاح الناس ولإصلاح المجتمع. وهذه المواعظ والنصائح مقتبسة من القرآن والحديث. بعض أساليب فن المقامة –مثل السجع والقافية– أخذت من آيات القرآن المجيد ومن أقوال رسول الله □. وزادت زينة فن المقامة المقابلة والمطابقة والجناس. والدارسون يدرسون المقامات بسرور وبفرحة لتلذذها. صنف فن المقامة باعتبار عقائد الإسلامية وتعليماتها. فلهذا قررت مدارس وجامعات الهند والباكستان وبنغلاديش مع مدارس وجامعات البلاد العربية فن المقامة لمناهجها. فلذلك نستطيع أن نمارس الألفاظ النادرة العربية بقراءة المقامات برحمة الله.

المصادر و المراجع

١. ابن منظور، أبو الفضل جمال بن مكرم (د.ت). لسان العرب، د.ك، بيروت: دار صادر.

٢. ضيف، شوقي. العصر العباسي الثاني، (١٩٨٠) القاهرة: دار المعارف

٣. الهمذاني، بديع الزمان أبو الفضل أحمد بن الحسين (د.ت). شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني، تأليف محمد محي الدين عبد الحميد،ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية.

٤. الهمذاني، بديع الزمان أبو الفضل أحمد بن الحسين (٢٠٠٥)، المقامات، تحقيق الشيخ محمد عبده،ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية.

٥. مبارك، زكي (د.ت). النثر الفني في القرن الرابع، د.ط، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

٦. السعافين، أبرهيم (١٩٨٧). أصول المقامات،ط١، دمشق: دار المناهل

٧. الحريري، أبو محمد القاسم بن علي (١٩٧٨). الديوان برواية، د.ط، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر.

٨. سلام، محمد زغلول. ١٤١٢ق/١٩٩٩م، الأدب في العصر العباسيين، ط١، الإسكندرية: منشأة المعارف.

٩. عبد الحميد، محمد محي الدين، شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت.

١٠. مرتاض، علد الملك، فن المقامات في الأدب العربي، الدار التونسية للنشر، ط٢، تونس،١٩٨٨.

١١. محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر، (د.ط)، القاهرة، مصر، ١٩٩٧م.

١٢. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، ط١، ١٩٦٥م، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى الحلبي.

١٣. عباس، حسن عبد العال، د.ت، نشأة المقامة في الأدب العربي، دار المعارف.

١٤. الحصري، زهر الآداب، ٢٣٥/١، نقلا عن مصطفى الشكعة، بديع الزمان الهمذاني.

١٥. الشكعة، مصطفى، بديع الزمان الهمذاني.

١٦. الجنان، مأمون بن محي الدين، بديع الزمان الهمذاني بين المقالة والرسالة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م.

١٧. الفاخوري، حنا، تاريخ الأدب العربي، دار الكوثر، القاهرة، ٢٠١٢م.

١٨. يوسف، نور عوض، فن المقامات بين المشرق والمغرب، ط١، دار القلم، بيروت، ١٩٧٩م.

١٩. ضيف، شوقي، المقامة، ط٣، دار المعارف، مصر، ١٩٧٦م.

٢٠. الهاشمي، السيد أحمد، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ط، ج١، ص: ٢٢٣.

٢١. مرتاض، عبد المالك، المقامات في الأدب العربي.

٢٢. Alfred Beeston, "The Genesis of the Maqamat Genre," Journal of Arabic Literature, 1971, 1–12.